صدى مجلة المنار القاهرية لمحمد رشيد رضا[1898- 1938م] في بلاد المغرب العربي

تاريخ الإرسال: 2015/08/25 - تاريخ القبول للنشر: 2015/11/23 تاريخ النشر: 2015/12/28

سعودي أحمد
جامعة عمار ثليجي بالأغواط

1- فكرة تأسيس المجلة وصدورها:

مثل ظهور مجلة المنار سنة 1898م حدثا صحفيا وفكريا هاما في تاريخ الصحافة العربية الإصلاحية في وسط كثر فيه ظهور المجلات الثقافية ذات النزعة العلمانية كمجلة «المقتطف» (1876م) التي كان يصدرها يعقوب صروف وفارس نمر وجريدة «الأهرام» (1875م) للأخوين بشارة وسليم تقلا أو مجلة «الهلال» (1892م) لجرجي زيدان وبروز بعض الصحف السياسية الحزبية التي لا تعنى بشؤون الفكر الإسلامي والإصلاح الديني كصحيفة «المؤيد» (1889م) لصحابها علي يوسف وجريدة «اللواء» (1900م) الناطقة باسم الحزب الوطني الذي كان برئاسة مصطفى كامل وصحيفة «الجريدة» الناطقة باسم حزب الأمة بزعامة لطفي السيد.

وكل ذلك أفرز فراغا واضحا، كان يبدو جليا بسبب غياب الصحافة الإصلاحية الدينية خاصة بعد توقف مجلة «العروة الوثقى»[1] لتكون مجلة «المنار» الوريث الشرعي لها والاستمرار الطبيعي لتوجهاتها وأفكارها لتشيع بظهورها تيارا فكريا موازيا لبقية التيارات الفكرية ولتعكس جزءا من الثقافة العربية الإسلامية.

وبالعودة لفاتحة العدد الأول من المنار الصادر في 15 مارس 1898 يبرز لنا رشيد رضا ما كان يحز في نفسه من ألم على الواقع الإسلامي والرغبة في إصلاح الأمة الإسلامية والوقوف في وجه ما يهددها من أخطار وتحديات خارجية فيقول: «...لقد حل من لساني عقدة الاعتقال والسكوت، وأطلق قلمي من عقال الدعة والسكون استغراق بعض إخوتي وإخوتك في النوم، وغرق بعضهم في بحار الوهم، وجهل المريض بدائه، و يأس العالم بمرضه من شفائه، فأنشأت هذه الجريدة لرغبة من تنبهت نفوسهم لإصلاح الخلل ومشايعة للساعين في مداواة العلل، الذين أرشدتهم التعاليم الدينية وهداهم النظر في الآيات الكونية إلى أن اليأس من روح الله والقنوط من رحمته جل علاه هو عين الكفر والضلال وآية الخزي والنكال فأحبوا أن يعملوا لأمتهم ويقوموا بخدمة ملتهم، فالجريدة تكون وصلة بينهم وبين الأمة تبعث بإرشادهم روح الهمة في أفرادها، وتحي ميت الغيرة من نفوس آحادها وتجاري الحداة لدى السير في مناهج الترقي، وتنتصب (منارا) في أخرات الشبهات ومجاهيل المشكلات»[2]

1 صدرت العروة الوثقى في باريس (5 جمادي الأولى 1301 هـ) الموافق 13 مارس 1884م وتوقفت في 16 أكتوبر 1884 وأصدرت ثمانية عشر عددا.

2- محمد رشيد رضا، «فاتحة السنة الأولى للمنار»، المنار، م1، ج1،(15 مارس 1898م)، ص 11.

أبرز محمد رشيد رضا منذ البداية أن إصداره للمجلة لم يكن يهدف من وراءه للثراء أو الجاه إنما معتبرا ذلك فرضا من الفروض الذي يرجي النفع من إقامته وتأثم الأمة كلها بتركه كما يقول وأنه لا هم له سوى قول الحق والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول: «إنني لم أنشأ المنار ابتغاء ثروة أتأثلها، ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها، ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهي به الأقران، وأباري به أعلياء الشان، بل لأنه فرض من الفروض يرجى النفع من إقامته، وتأثم الأمة كلها بتركه، فلم أكن أبالي بشيء إلا قول الحق والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكنت إن أصبحت هذا يحسب علي واجتهادي فسيان رضي الناس أم سخطوا، مدحوا أم ذموا، قبلوا المنار أم رفضوا»[1]

وقد كشفت المنار منذ عددها الأول عن هدفها الذي يتمثل في العناصر الآتية:

- الإصلاح الديني والاجتماعي لأمتنا الإسلامية.
- اتفاق الإسلام مع العلم والعقل ومواقفه لمصالح البشر في كل قطر وكل عصر.
- إبطال ما يورد من الشبهات عليه وتنفيذ ما يعزى من الخرافات إليه.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[2]

بعد أن سكنت فكرة إنشاء المجلة مخيلة رشيد رضا وأصبح شديد الاقتناع بتنفيذ مشروعه كان رسو الباخرة التي تقله إلى مصر في ميناء الإسكندرية في 03 جانفي 1898م بداية مرحلة جديدة من حياته هي مرحلة المنار وكان رشيد رضا مدركا أنه لا يمكن أن يقوم بمشروعاته ما لم يحض بمؤازرة الشيخ محمد عبده وهو صاحب الباع الطويل في العمل الصحفي من خلال جريدة العروة الوثقى كما أنه لا يعلم شيئا عن شؤون وظروف هذا القطر الكبير، ولا ما يموج به من تيارات وليس لديه فكرة عن جمهوره ولذلك بمجرد وصوله قدم إلى القاهرة لزيارة الشيخ محمد عبده، فهو قوة الجذب التي سحبته إلى مصر بعد أن فقد الأمل بالالتحاق بجمال الدين الأفغاني في الأستانة لوفاته، وما إن وصل القاهرة حتى اتصل في صبيحة اليوم التالي بالشيخ محمد عبده وأخبره مراده من المجيء إلى مصر وقد ذكر رشيد رضا هذا اللقاء الذي ذكره في مذكراته قائلا: «فلما بلغناها (دار الإمام محمد عبده) أرسلت إليه بطاقة الزيارة فما لبث أن نزل وهي بيده وطفق بعد السلام يسألني عن أصحابه في طرابلس الأستاذ حسين الجسر و دروسه وجريدة طرابلس التي تنشر فيها مقالاته»[3]

وبعد أن طرح رشيد رشا على الإمام محمد عبده نيته في إصدار جريدة في مصر لم يلق منه في البداية تشجيعا واضحا لأنه وحسب رأيه فإن المصريين لا يلتفتون في الصحف إلى المواضيع الأدبية والتربوية بل إلى أخبار الحكومة وما يقال عن الخديوي والإنجليز – لكن – رشيد رضا كان أكثر إصرارا وشرح للشيخ محمد عبده تصوره للإصلاح وخطته فيه والتي من ضمنها إصدار جريدة إصلاحية تقاوم الجهل والفساد والخرافات فوافقه الشيخ

1– محمد رشيد رضا، «مقدمة الطبعة الثانية للمجلد الأول من المنار» المنار، م1، ج1،(15 مارس 1898م)، ص ص 2، 3.
2– أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية 1 (المنار)، دار عطوة للطباعة، القاهرة، 1983، ص 30.
3– إبراهيم أحمد العدوى، رشيد رضا الإمام المجاهد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنشاء والنشر ،(دت ن)، ص 127.

شرط أن يلتزم بمنهاج يجب مراعاته في خطة الجريدة وحدده بثلاثة أمور:

1. أن لا تتحيز لحزب من الأحزاب.
2. أن لا ترد على جريدة من الجرائد التي تتعرض لنا بذم وانتقاد.
3. أن لا تخدم أفكار أحد من الكبراء (هؤلاء الشاغلين للوظائف الكبيرة الذين يدعون بالكبراء إننا قد نستخدمهم ولكن لا نخدمهم)[1]

وأستشار رشيد رضا الشيخ محمد عبده عن اسم الجريدة وعرض عليه عدة أسماء كان من بينها «المنار» فاختار هذا الأخير وهو الاسم الذي أعلن رشيد رضا أنه ارتاح له ليبدأ بعد ذلك مباشرة إعداد المادة العلمية بعد أن تلقى منه شيخه الكثير من التوجيهات العلمية والعملية كما انه توسط له في الحصول على أسماء بعض المشهورين من القراء لمجلته.

وعكف رشيد رضا على إعداد العدد الأول «وأذهل أقرب المقربين إليه بما استطاع إنجازه من عمل كبير ففي أسبوع واحد إنتهى من تبويب العدد فضلا عن كتابة افتتاحية ذلك العدد وهي أهم شطر فيه، وكتب رشيد رضا تلك الفاتحة الرائعة بقلم الرصاص في جامع الإسماعيلي المجاور لدار الأستاذ الإمام محمد عبده بالناصرية، وذهب بها إلى داره فعرضها عليه، فأعجبته جد الإعجاب، وكان الأستاذ الإمام يعلم جدارة رشيد في الإنشاء ووصف ما أطلع عليه منها بقوله «أسلوب رفيع» برغم أن عادته جرت على استخدام كلمة العرفية المصرية (مش بطال) لما يستحسنه من مقالات الجرائد».[2]

صدر العدد الأول من المنار كصحيفة أسبوعية في ثمان صفحات كبيرة في الثاني و العشرين من شوال 1315 هـ الموافق لـ 17 مارس 1898م ولم تأخذ الشكل المعروف الذي انتهت إليه إلا في المجلد الثاني فكانت أقرب في البداية للجريدة منها للمجلة.

وقد طبع من العدد الأول 1500 نسخة أرسل أكثرها إلى الأسماء المعروفة في مصر وسوريا وغيرها من البلاد فأعيد أكثر ما أرسل ولكن ذلك لم يضعف عزم و إرادة رشيد رضا لتحقق المجلة بعد ذلك نجاحا باهرا حتى أنه قد باع بعد ذلك الأعداد التي استردها بأضعاف ثمنها.

وقد حمل العدد الأول مقدمة غاية في الروعة كما سبق ذكره من أبرز ما جاء فيه: «أما بعد فهنا صوت صارخ بلسان عربي مبين، و نداء حق يقرع من سمع الناطق بالضاد مسامع جميع الشرقيين، ينادي من مكان قريب يسمعه الشرقي والغربي ويطير به البخار فيتناوله التركي والفارسي.

يقول: أيها الشرقي المستغرق في منامه، المبتهج بلذيذ أحلامه، حسبك حسبك فقد تجاوزت بنومك حد الراحة وكاد يكون إغماء أو موتا زؤاما، تنبه من رقادك وامسح النوم عن عينيك وأنظر إلى هذا العالم الجديد، فقد بدلت الأرض غير الأرض ودخل الإنسان في طور آخر خضع له به العالم الكبير.

1- المرجع نفسه، ص 131.

2 العدوى، مرجع سابق، ص 135.

لا يهولنك ما تسمع ولا يروعنك ما ترى واعلم أن هذا العصر عصر العلم والعمل فمن علم و عمل ساد ومن جهل وكسل باد و ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد»[1] .

وعلى الرغم من أن الشيخ محمد عبده كان موجها لتلميذه إلا أنه كان لا يفتأ ينتقده فيما يمكن أن يفيده ويزيده خبرة وإن كان أيضا يبدي لتلميذه أن يحترم بعض آرائه حتى ولو كان يختلف معها وقد أعلن الشيخ محمد عبده بأنه يأخذ على رشيد رضا في تحريره للمنار ثلاث أمور هي:

1. الصراحة التامة والشدة في إظهار الحق وأنه لا بد من مراعاة شعور من يعرض عليهم كي لا يزداد إعراضهم عنه.
2. إن المنار في موضوعه ولغته لا يفهم أكثر ما فيه إلا الخواص، فينبغي تحري سهولة العبارة وقلة غريب اللغة ما يقربه من أفهام جمع القارئين حتى العوام.
3. أشاد محمد عبده على رشيد رضا أن يبتعد بالمنار عن الخوض في سياسة الدولة العثمانية.

وقد استفاد رشيد رضا كثيرا من انتقادات ونصائح شيوخه وقراءه وهو ما أنجح تجربة المنار الرائدة.

أما طريقة الصدور فقد أبرزها رشيد رضا في مقدم الطبعة الثانية للمجلد الأول من المجلة قائلا:»كان المنار في السنة الأولى من عمره جريدة أسبوعية ذات ثمان صفحات كبيرة، وكنا ننشر فيه برقيات الأسبوع وبعض الأخبار التي ليست كلها ذات فائدة (...) وقد أعدنا طبعة بشكل المجلة التي هي عليه منذ السنة الثانية (...) ولكننا كنا نكثر في السنة الأولى من الخطابيات لتنبيه الأذهان وإعدادها لما هو آت ونكتفي في أكثر المسائل بالإجمال لتتهيأ النفوس لطلب التفصيل، وقلما جرينا فيها على شيء ثم تبين لنا خطأنا فيه (...) ومن البديهي أننا ازددنا علما وخبرا في جميع المسائل بطول البحث والتمحيص والوقوف على آراء الناس وأحوالهم، قد اقتبسنا أسلوب الإجمال قبل التفصيل وقرع الأذهان بالخطابيات الصادعة من القرآن الحكيم».[2]

فبعد أن انطلقت المجلة أسبوعية، صارت نصف شهرية ثم شهرية ، فقد تغيب أحيانا عن الصدور لكنها في الغالب كان مجلة شهرية، كتبت تواريخ أجزاءها في السنوات الأولى لصدورها بالتأريخ الهجري ثم صارت تكتب بعد ذلك بالتأريخ الهجري والميلادي معا، أما مكان صدورها فكان بمطبعة المنار، شارع الإنشاء بالقاهرة، كما أن هذه المطبعة عكفت بعد ذلك على طبع جل مؤلفات رشيد رضا وقد صدر أول عدد لها بتاريخ 22 شوال 1315 هـ الموافق لـ 15 مارس 1889، أما آخر عدد صدر في حياة مؤسسها فكان بتاريخ 30 محرم 1354 هـ الموافق لـ 30 جويلية 1938م فهو العدد 10 من المجلد 34، وإجمالا صدر من مجلة المنار 34 مجلدا بمعدل 900 صفحة للمجلد الواحد سنويا.[3]

1- محمد رشيد رضا، «فاتحة السنة الأولى للمنار» المنار، م1، ج1،(15 مارس 1898)، ص 9.
2- محمد رشيد رضا، «مقدمة الطبعة الثانية للملجد الأول من المنار»، المنار، م1، ج1،(15 مارس 1898م)، ص ص:5، 6.
3-.ص55- 56 محمد صالح المراكشي، قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصر،الدار التونسية للنشر ،تونس، 1992

2/توجهات المجلة وموضوعاتها:

تتجلى بوضوح الرؤية الفكرية لما يمكن وصفه بمدرسة المنار، فقد إعتنى رشيد رضا بعرض فتاوى الشيخ محمد عبده ونشر فكره الإسلامي، لذلك حملت صفحات المنار الكثير من الوثائق الفكرية ذات الطابع الإصلاحي لإصلاح المؤسسات كالأزهر أو القضاء الشرعي والتعليم، ولا شك أن المنار بذلك تقدم الصورة الكاملة لتطور فكر رشيد رضا والذي هو جزء من التيار الفكري الإسلامي الإصلاحي المعاصر، وعلى صفحات المنار التي كتب رشيد رضا جل مادتها نتعرف على منهجه في تفسير القرآن وهو في حقيقته امتداد لمشروع شيخه محمد عبده لتفسير القرآن، كما نقف على منهجه في الفتوى، فقد خصص من المنار بابا أسماه «فتاوى المنار» يعرض فيه ما يرده من أسئلة واستفسارات فقهية تصله من أطراف العالم الإسلامي وهو ما يسمح لنا بمعرفة طبيعة المسائل التي أقلقت وشدت انتباه المسلمين في تلك المرحلة وموقف رشيد رضا من هذه القضايا، ولا شك أن المنار شكلت للباحثين «منجما» غنيا يتيح متابعة شيء من العطاء الفكري لعدد من رموز الفكر والإصلاح، مثل رفيق العظم.[1]، شكيب أرسلان، عبد الحميد الزهراوي[2]، محمد الخضر الحسين[3]، وغيرهم.

كما يمكن أن نتابع على صفحات المنار كثير من المساجلات والمعارك الفكرية التي شهدتها الساحتين العربية والإسلامية حول الكثير من القضايا الهامة فهناك عدد من كبير من المقالات السجالية التي تناقش قضايا حساسة مثل: المفاضلة بين العامية والفصحى، وترجمة القرآن الكريم، والكتابة بالحرف اللاتيني، والمذهب الوهابي وعقائده، ومدنية القوانين وشرعيتها، ومعركة السفور والحجاب ومسألة التقريب بين السنة والشيعة ومناهضة التبشير والتغريب والوقوف في وجه قانون الظهير البربري، وتفاصيل معركتي كتاب: «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق[4] وكتاب «في الشعر الجاهلي» لطه حسين.[5]

1- رفيق العظم (1865-1922) أديب ومؤرخ وشاعر وسياسي سوري، كتب في الإصلاح والمواضيع الوطنية نشر الكثير من المقالات على صفحات الأهرام والمعظم واللواء والمنار وغيرها،أنتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق، من أهم مؤلفاته «أشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة» «البيان في التمدن و أسباب العمران» راجع يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، مرجع سابق، ص ص: 606-60.

2- عبد الحميد الزهراوي (1871-1916) أحد أرباب الفكر في سوريا، اشتغل بالإصلاح الديني والاجتماعي في ، من زعماء الوعي القومي وأحد الشهداء العرب الذين قضى عليهم جمال باشا، أصدر جريدة سماها «المنبر» ترأس المؤتمر العربي في باريس من أبرز مؤلفاته «الفقه والتصوف» راجع،محمد يوسف أسعد ، أعلام النهضة العربية،دار الاشراق،طرابلس،1982، ص:427، 428.

3-،عين شيخا للأزهرسنة 1952م،توفي1957م. محمدالخضر حسين:ولدبتونس سنة1876 م درس بالزيتونة،مارس بعد تخرجه التدريس والقضاء

4- علي عبد الرازق (1888-1966) عالم مصري درس في الأزهر، كان من أكبر بيوتات مصر يلتقي فيه أصحاب النزعة العلمانية وأصحاب الاتجاه الإسلامي، سافر إلى انجلترا سنة 1912 ليتم دراسته بأكسفورد في مجال الاقتصاد السياسي والاجتماعي عاد إلى مصر سنة 1915 وتولى القضاء الشرعي، من أبرز مؤلفاته، «الإسلام وأصول الحكم» راجع، صالح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، (ط1) مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001، ص ص: 140-139.

5- طه حسين ولد عميد الأدب العربي بالمنيا إحدى محافظات مصر سنة 1889، فقد حاسة البصر منذ الصغر، تعلم في كتاب القرية ثم دخل الأزهر، التحق بالجامعة المصرية أول إنشائها، نال شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون بفرنسا برسالة عن

دون أن ننسى ما تقدمه المنار من تراجم هامة لعدد من الأعلام والرموز الفكرية والسياسية العربية والإسلامية شملت أكثر من ثمانين علما، عمد رشيد رضا إلى التعريف بهم و بمسيرتهم العلمية والدينية، كما أن المنار لم تغفل عن تتبع بعض الإصدارات والكتب وتعريف القراء على ما تحتويه من معلومات وآراء مما يعطي صورة عن نوعية الكتب التي كان يهتم رشيد رضا بدارستها ومناقشتها ولا شك أن في ذلك كشف لطبيعة البيئة الثقافية السائدة آنذاك وحقيقة انشغالاتها كما تزيح الستار عن ملامح التيارات الفكرية والسياسية المتنافسة.

وقد تمحورت موضوعات المنار حول خطوط عريضة جعلتها رائدة الصحافة الإسلامية من حيث عنايتها بالجوانب المختلفة الآتية.

1. دراسة العقيدة الإسلامية في مجال تفسير القرآن والسنة والفقه والفتاوى.
2. دراسة أحوال المسلمين في العالم الإسلامي كله وخاصة البلاد الإسلامية في معركتها لمواجهة الاستعمار.
3. متابعة أحوال ونشاط الجمعيات الإسلامية في كثير من البلاد الإسلامية.
4. دراسة المجتمع الإسلامي وأحوال المرأة وإصلاح المحاكم الشرعية و ما يتصل بالفساد الاجتماعي.
5. التربية الإسلامية وإصلاح التعليم والجامع الأزهر.
6. مواجهة التحديات والأخطار المنبعثة من الدعوات الهدامة والرد على كتابات الغربيين من خصوم الإسلام.
7. المؤلفات الإسلامية والتراث المجدد وقد عنيت المنار بتقديم عرض للمؤلفات الإسلامية الحديثة وما يتجدد من كتب التراث.
8. الاهتمام باللغة العربية بالتعرض للأدب والشعر والبلاغة وفنون الأدب.
9. التعرض لوجهة نظر الصحافة الإسلامية من المجلات والصحف اليومية.[1]

ويلاحظ أن موضوعات المنار وأبوابها العامة تشبه كثيرا النموذج الذي قدمه لمجلة الأزهر قبل صدورها على هذا النحو.

الباب الأول: مقالات دينية وعلمية وتاريخية وخطابية، الغرض منها بيان حقيقة الإسلام وأحكامه وإصلاح لشؤون البشر الشخصية والقومية والوطنية والسياسية ورفع مستوى الإنسان وتوحيد مقومات الأمم وبيان حاجة البشر إلى إصلاحه في كل وزمان ومكان.

الباب الثاني: الفتاوى العامة فيما يتعلق بالاسلام وآدابه وأحكامه وتشريعه وسياسته.

الباب الثالث: كشف الشبهات وحل عقد المشكلات التي تعرض بطلاب العلوم وغيرهم بالإطلاع على كتب العلوم

ابن خلدون، من أهم آثاره «الأيام» «في الأدب الجاهلي» توفي سنة 1973م، راجع: محمد الطيب عبد النافع، وإبراهيم عبد الرحيم يوسف، تاريخ الأدب (دط) مكتبة الوحدة العربية، بيروت، (دت ن)، ص ص: 690-689

1- أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية (المنار) ،دار عطوة للطباعة ،القاهرة،1983، ص ص: 32، 33.

والفلسفة والأديان المختلفة وما يورده الملاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن في الإسلام ومقاومة تيار الإلحاد الذي انتشر.

الباب الرابع: باب البدع والخرافات وانتقاد الضار من العادات وسمي باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وتعتمد فيه على كتاب الملل والنحل والاعتصام.

الباب الخامس: باب التربية والتعلم: التربية الدينية والعقلية والجسمية والنفسية.

الباب السادس: آداب اللغة العربية وتاريخها.

الباب السابع: الاقتباس والانتقاد وتقريظ الصحف والكتب والمجلات، وما ينشر في الصحف الغربية من مباحث هامة والرد على المباحث الباطلة.

والقاعدة هي الاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي من وحي ولا سنة بشروطه المعروفة.[1]

إلا أن المنار في كل ذلك لم تقتصر على العلوم الدينية بل نشرت الكثير من المقالات عن السنن الكونية بالطلب والصحة وكانت تنقل عن المجلات الأخرى عيون مقالاتها أو بحوثها الجيدة مثل: مجلة المقتطف وصحيفة المؤيد، والتزمت أمانة النقل وقد أشرك رشيد رضا الكثير من الأقلام المميزة في مواضيع المجلة نذكر على سبيل المثال لا الحصر: أحمد الإسكندري، حفني ناصف، مصطفى صادق الرافعي، المنفلوطي، حافظ إبراهيم، عبد المحسن الكاظمي، محمد روحي الخالدي، عبد القادر المغربي، شكيب أرسلان، رفيق العظم، محمد الخضر حسين دون أن ننسى محمد عبده.

«بذلك فإن المنار شكلت جبهة لمواجهة أقلام وتيارات سلفية وحداثية تعكس شدا واضحا بين تيارين أحدهما يحمل لواء الإصلاح وآخر يرفع عنوان التجديد»[2]

3-انتشار المجلة وصداها في بلاد المغرب العربي:

أخذت المنار بعد صدورها بشكل تدريجي طريقها إلى القراء ليزداد إقبالهم عليها رغم الصعوبات التي واجهتها في البداية و خاصة في السنوات الثلاث الأولى نتيجة لموقف السلطات العثمانية المعادي لها حتى أن عدد المشاركين لم يزد في ختام العام الثالث عن الثلاثمائة أو الأربعمائة ولكن ذلك لم ينقص من عزيمة رشيد رضاالذي كتب يقول :»ما كان انتقاص عملي، منتقصا شيئا من أملي، ولا زهد الأمة في المنار، باعثا على جعلها طعاما للنار كما هي سنة أصحاب الصحف في هذه الديار، بل كنت أحرص عليه، حاسا أن الناس سيعودون إليه»[3]

فزاد إقبال الناس عليها وكثر المشتركون فيها وأصبحت نموذجا يحتذى به وتنافس الناس على اقتنائها بل

1- أنور الجندي، تاريخ الصحافة، مرجع سابق، ص 294.

2- Nadia elissa-mondeguer' « al-manâr de 1925 a 1935 : la dernière décenie d'un engagement intellectuel » revue des mondes musulmans et de la méditerranée (en ligne N° 95-98 avril 2002' P13)

3- إبراهيم أحمد العدوي، رشيد رضا، مرجع سابق، ص 149.

وبيعت الأعداد الأولى بأضعاف ثمنها وأمتد تأثير المجلة إلى كثير من الأقطار الإسلامية وصار لها مؤيدون ومحبون وقد أشار إلى ذلك كتاب «وجهة الإسلام» الذي قام بتأليفه جماعة من المستشرقين على رأسهم هاملتون جب فقال «ولم يشرف (منار) القاهرة على المصريين وحدهم، ولكنه أشرف على العرب في بلادهم وخارجها وعلى مسلمي أرخبيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الأزهرية أوفي مكة وعلى الأندونيسي المنعزل الذي ظل محافظا على علاقته بقلب العالم الإسلامي بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الإسلام».[1]

وفيما يلي نماذج عن صدى مجلة المنار في العالم الإسلامي:

أ- صدى مجلة المنار في المغرب العربي:

ربطت مجلة المنار وصاحبها رشيد رضا علاقات وطيدة بأبناء المغرب العربي كاستمرار طبيعي لتأثير مدرسة الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، منذ أن كانت مجلة «العروة الوثقى» تجد لها ذلك الصدى الكبير بين مثقفي وقراء أبناء المغرب العربي ورغم أن رشيد رضا لم يزر أيا من بلدان المغرب العربي إلى أن اسمه و اسم مجلته كان أشهر من نار على علم في هاته البلاد.

إلا أن الملاحظ أن تأثير المنار وصاحبها لم يكن بنفس الحدة والتأثير نتيجة لمعطيات مرتبطة بطبيعة الإدارة الاستعمارية وسياستها في كل دولة ولنبدأ بالجزائر.

1- صدى مجلة المنار في الجزائر:

ركزت السياسة الفرنسية في الجزائر منذ السنوات الأولى للاحتلال على تكريس القطيعة بين الجزائر وبعدها العربي والإسلامي بحرمان الجزائريين من التعليم العربي الإسلامي وتجفيف كل منابع ومصادر هذا التوجه لعزل الجزائر عن الحركة الفكرية التي كانت في المشرق العربي، إلا أنها ورغم ذلك عجزت في منع إشعاع الحركة الإصلاحية وأفكارها بقيادة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ثم رشيد رضا من أن تطرق أبواب وعقول أبناء المغرب العربي.

فقد نشأت الصلة بين المنار والحركة الإصلاحية الدينية في الجزائر منذ زيارة محمد عبده للجزائر وبعدما نجح الكثير من الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الزيتونة أمثال عبد الحميد بن باديس[2] في الإطلاع على مجلة المنار التي كانت تلقى رواجا في تونس وهو ما جعل «حركة ابن باديس زعيم الجمعية تندرج إدراجا يكاد يكون كليا في الخط الإصلاحي السلفي الذي رسمه عبده ورشيد رضا في المنار».[3]

ويعتبر علي مراد في أطروحته حول «الإصلاح الإسلامي في الجزائر» هذا التأثير أبرز العوامل الخارجية لظهور

1-العدوى، رشيد رضا، مرجع سابق، ص 149.

2- عبد الحميد بن باديس (1889-1940م) مفكر ومصلح ورجل دين جزائري، ارتبط اسمه بالنضال من أجل تثبيت هوية الجزائر العربية الإسلامية من وجه الاستعمار، أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائري عام 1931، راجع، عبد الوهاب الكيالي و آخرون، موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج 3، ص 810.

3- محمد صالح المراكشي، قراءات في الفكر العربي الحديث، مرجع سابق، ص 110.

هذا التيار في الجزائر إذ يقول : «ونلاحظ في الأخير أن الإصلاحيين الجزائريين، كانوا شديدي الاهتمام بدعاية «المنار» وأنهم كانوا يقدرون كثيرا أفكار رشيد رضا وهو الذي دعا في مقالاته حول قضية الخلافة ما بين 1922 و 1923م إلى ضرورة أن ينشأ الإصلاحيون حزبا إسلاميا معتدلا يتوسط بين المحافظين المتطرفين ودعاة التغريب ولم تكن هذه الأفكار والآراء لتمر عن إهتمام ابن باديس ورفاقه».[1]

وباعتراف رواد الإصلاح أنفسهم في الجزائر اتضح أن مجلة المنار وزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة 1903 تعد من محفزات العمل الإصلاحي في الجزائر فقد أتاحت المنار للجزائريين خاصة الفئة المثقفة منهم فرصة الإطلاع على أحوال العالم الإسلامي والعربي وما انتشر من آراء إصلاحية لا سيما في شخص محمد عبده والذي كان للمنار دور في إنجاح زيارته للجزائر.

يقول أبو القاسم سعد الله :»لقد تهيأت عدة ظروف جعلت زيارة الشيخ عبده ممكنة سنة 1903 وأول ذلك هو المقال الذي نشرته المنار بعنوان (فرنسا والجزائر) نصحت فيه فرنسا «الدولة العظيمة» بحسن معاملتها لمسلمي مستعمراتها و إدارتها في الجزائر لكي تملك قلوبهم، وقد اعتذر رشيد رضا لفرنسا بأنها غير مرتاحة للطريقة التي تسوس بها الجزائر، ولكنها سياسة ضرورية إلى أن يأتي ما هو خير منها ونوهت المنار بوعود رئيس جمهورية فرنسا للجزائريين أثناء زيارته لبلادهم سنة 1902م بأن أحوالهم ستتحسن».[2]

وقد سبق لرشيد رضا أن كتب مقالة أخرى بعنوان (فرنسا والإسلام) إتهم فيه فرنسا بأنها تتبع في إفريقيا ومنها الجزائر «سياسة خرقاء» كما اتهمها بأنها سلكت مع المسلمين طريقة العنف والقهر وأنها حالت بينهم وبين التعليم وأتهمها أيضا بالتخبط وأعلن «لو أطلقت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت لهم على أحكام شريعتهم وآدابها ومساعدتهم على ترقي بلادهم وعمرانها و أقامت فيهم العدل لكانت هذه المعاملة الحسنى أقوى جانب يجذب جيرانهم»[3]

أثمر هذا الاهتمام من المنار بالجزائر تفهما واحتراما جزائريا للمنار وصاحبها وهو ما جعل مدرسة المنار تلقى صدى إيجابيا تأكد في الآثار الإيجابية لزيارة محمد عبده على تنامي الوعي الإصلاحي لدى الجزائريين.

«فبعد عودته من سفره إلى فرنسا نحو مصر عبر شمال إفريقيا توقف محمد عبده في الجزائر العاصمة وقسنطينة وكان له لقاءات مع العديد من مثقفي المدينتين، أبدى الكثير منهم تأييدهم لمواقفه الإصلاحية أما المنار التي كان تدخل للجزائر قبل 1903م بشكل سري، فإنه بعد زيارة محمد عبده ولقاءه مع الحاكم العام وجدت موافقة على دخولها الجزائر ما زاد عدد قرائها وإن كان بقي محصورا في الفئة المثقفة فقط، وإضافة إلى المنار تعرف الجزائريون على جرائد مصرية مثل «المؤيد» و «اللواء» وغيرها ولكن المنار استمر ولأمد طويل على مستوى العالم

1- Ali merad'» le reformisme musulman en algérie de 1925 à 1940»' 2eme ed' les éditions Dar el hikma' alger' p 112.

2- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 114.

3- سعد الله،المرجع نفسه، ص 115.

الإسلامي والعمل الإصلاحي تجربة فريدة من نوعها»[1]

ويمكن لنا أن نتبع تأثير المنار وصاحبها رشيد رضا على عدة مستويات لدى الاتجاه الإصلاحي في الجزائر سواء التأثير بالمنهج السلفي نفسه أو الاستفادة من تجربة المنار الصحفية لدى صحف هذا الاتجاه، ومما لا شك فيه أن الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي يمثلان أفضل نموذج لتأثير الأفكار العبدوية في الجزائر يقول أبو القاسم سعد الله: «ولكن كان للعلماء تصوراتهم الخاصة عن بداية و تطور الحركة الإصلاحية في الجزائر، فهم يرون أن الشكل الحديث للحركة الإصلاحية في الجزائر قد ولد بعد الحرب العالمية الأولى وقد كانت هناك عوامل كثيرة ساهمت في هذا التطور:

أولا: كان هناك تأثير الشيخ محمد عبده (حركة الجامعة الإسلامية) ولا سيما فكرته عن الجهاد.

ثانيا: تأثير مجلة «المنار» وكتب المصلحين الدينين مثل ابن تيمية وابن القيم و الشوكاني (وهؤلاء كلهم محل إعجاب الوهابيين أيضا).[2]

وبإنشاء جميعة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م فقد اعتمدت نفس الخط الإصلاحي الذي رسمه محمد عبده ورشيد رضا دون إنكار لخصوصيات جزائرية، فالتأثير العام كان واضحا في الأمور العقدية ومحاربة البدع والطرقية والدعوة لتطوير التربية والتعليم «ولم يكن مطروحا لدى هؤلاء الإصلاحيين رفض للتطور وللحياة العصرية والغرق في «الجهل المقدس» للعصور السابقة وهذه كانت أفكار محمد عبده رائد الفكر الإصلاحي في دعوته للتعلم وما كان ينصح به أتباعه من أخذ بأسباب العلم الحديث وهو ما كان عليه قادة الإصلاح في الجزائر».[3]

ولا أوضح في هذا المجال من قراءة في القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعثرنا فيه على تشابه كبير جدا مع الكثير من الأفكار الإصلاحية في المجالات الدينية والتربوية التي كان يتبناها الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا والتي امتلأت بها صفحات مجلة المنار عبر مجلداتها الخمس والثلاثين.

أما بالنسبة للتأثير الشخصي فيمكن أن نستنتج ذلك من كتابات البشير الإبراهيمي وعبد الحميد بن باديس حول رشيد رضا وافكاره وسنعرض بعضا منها:

الشيخ عبد الحميد بن باديس:

نعى عبد الحميد بن باديس رشيد رضا في مقال مطول في حلقات نشرها في «الشهاب» تحت عنوان «رزء الإسلام – وفاة مجتهد العصر الاستاذ رشيد رضا» يمكن أن نتعرض لبعض أجزائه يقول في بدايته.

«نعت أخبار مصر وفاة هذا الإمام وقد كانت وفاته إثر رجوعه من مشايعة الأمير سعود إلى الاسكندرية...و ما بلغ مصر حتى وافاه الأجل وقد شيعت جنازته في مشهد عظيم ودفن بجوار الأستاذ محمد عبده».

لقد كان الأستاذ نسيج وحده في هذا العصر فقها في الدين وعلما بأسرار التشريع وإحاطة بعلوم الكتاب والسنة

1- Amar hellal'» le mouvement réformiste algérien (1831-1957) «'OPU' 2002' P 108.

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية،(طبعة خاصة) ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ، ص 389.

3- Ali merad' OPCITE' p 215.

ذا منزلة كاملة في معرفة أحوال الزمان وسير العمران والاجتماع.[1]

وفي جزء أخر من المقال نجده يقول تحت عنوان : أثر السيد رشيد رضا في العالم الإسلامي' إن السيد رشيد بما نشر من تفسير القرآن الحكيم على صفحات المنارهو الذي جلى الإسلام بصفاته الحقيقية للمسلمين وغير المسلمين وما كتب في المنار وهو الذي لفت المسلمين إلى هداية القرآن ، وهو الذي دحر خصوم الإسلام من المنتمين إليه وهتك أستارهم حتى صاروا لا يحرك أحد منهم أو من أشباههم يده إلا أخذ بجنايته، فهذه الحركة الدينية الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية بيانا ودفاعا – كلها من آثاره فرحمه الله وجزاه أفضل ما يجزي العاملين»[2] .

أما شارل روبير آجرون فيؤكد أن بن باديس كان واضح التأثر برشيد رضا و أفكاره ليكون بذلك نشاطه الإصلاحي استمرارا طبيعيا لهذا التأثر «كانت هذه الشخصيات تلتفت مبدئيا حول مصدر إلهام مشترك وهو الإصلاح كمذهب سلفي إصلاحي على النحو الذي نشره وعممه رشيد رضا في مجلة المنار، وكان ابن باديس على الخصوص يظهر دوما كأحد أتباع رشيد رضا، وعمل جاهدا من أجل السير على منواله في سبيل إحياء تقاليد الأصالة وفتحها على قيم الحداثة المعاصرة، وكان يعتقد على غرار رواد الإصلاح في سوريا وفي مصر أن الاسلام الصحيح يتقبل جميع أشكال التقدم العصري».[3]

الشيخ البشير الإبراهيمي:

يقول عن رشيد رضا «حمل لواء الإصلاح بعد موت الإمام تلميذه الأكبر ووارث علومه السيد محمد رشيد رضا، وقد كان في حياة الإمام ترجمان أفكاره باعتراف الإمام والمنافح عنه والمدافع دونه، واضطلع بعد موته بحمل أعباء الإصلاح حين نكل عن حملها أقوام وضعف عن حملها أقوام، واستقل بتسيير سفينته فكان الربان الماهر وأقام على مبادئ أستاذه وفيا لها وله، فتمادى على إصدار التفسير على منهاج الإمام فكان أضخم عمل استقل به فرد، وليس تاريخ الأستاذ الإمام بالأمر الهين الذي يقوم به فرد لو لم يكن ذلك الفرد (رشيدا)...

وكان طول حياته بلاء مسلطا على طائفتين: دعاة التدجيل من المسلمين ودعاة النصرانية من المسيحيين، لم نعرف من فضح الطائفتين شر فضيحة غير الأستاذ السيد رشيد ...وإن من واجب الوفاء والاعتراف بالفضل لأهله، ان نجري ذكره بما يتسع له المقام في هذه النشرة الإصلاحية التي تمت إلى أعماله ومبادئه بالنسب العريق، وتتصل إلى علومه ومعارفه الواسعة بالسبب الوثيق وقد فعلنا، ولكن أين تقع هذه الجمل مما يوجبه الوفاء لرجل، هو في بناء الإصلاح الركن والدعامة وهو في هيكل الإصلاح الراس والهامة؟ وعسى أن تساعد الأقدار فنوفيه

1– عبد الحميد بن باديس، آثار عبد الحميد بن باديس،ج3 ،الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر ، ص 82.

2– ا بن باديس، المرجع نفسه، ص ص: 95، 96

3– شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954،المجلد2، (ترجمة المعهد العربي العالي للترجمة) شركة دار الأمة، الجزائر،ط1– 2008، ص 529.

بعض حقه[1].

هذا بالنسبة لموقف العلامتين من رشيد رضا إما بالنسبة لعلاقة المنار بالمثقفين الجزائريين فيمكن أن نستنتجه من عدة أحداث يقول أبو القاسم سعد الله :»فقد اجتمع الشيخ عبده، كما ذكرنا بعدد من العلماء والمعجبين بالحركة الإصلاحية التي يمثلها وذكر منهم رشيد رضا اثنين وهما محمد بن الخوجة وعبد الحليم بن سماية وكان من المعجبين بالمنار وقد طلبا من الشيخ عبده مع غيرهما، أن يوصي صاحب المنارأن لا يتعرض في مجلته بسوء للدولة الفرنسية حتى لا تمنع المجلة من دخول الجزائر، وهي في نظرهم «مدد الحياة لنا فإذا إنقطع انقطعت الحياة عنا»[2]

أما البشير الإبراهيمي فيقول :»كان أكمل آثار الشيخ رشيد رضا في حياة الإمام إنشاء مجلة المنار وأنفس ذخر اشتملت عليه هي دروس الإمام في التفسير التي هي النواة الأولى لتفسير المنار»[3]

وفي شرحه لعوامل نشوء الحركة الإصلاحية نجده يقول: «والتأثير الأكبر وتكوينها على هذه الصورة يرجع في الحقيقة إلى سنة الإدالة الكونية التي اقتضاها تدبير الاجتماع ويرجع فيما نرى إلى العوامل الآتية:

الأول: نوازع جزئية محدودة أحدثتها في النفوس المستعدة الأحاديث المتناقلة في الأوساط العلمية عن الإمام عبده...

ويضاف إلى هذا العامل قراءة «المنار» على قلة قرائه في ذلك العهد وإطلاع بعض الناس على كتب المصلحين القيمة»[4] .

وشيئا فشيئا لم تعد المنار حكرا على عدد محدود من القراء لتشمل الكثير من المثقفين ثقافة عربية يقول محمد الهادي السنوسي في مجلة الثقافة سنة 1947 مؤكدا هذه الرابطة بين الجزائر والشرق «من منا معشر الأدباء الجزائريين من لم يفتح عينيه منذ انتهت الحرب الكبرى الأولى على آثار مدرسة إسماعيل صبري وحافظ وشوقي وطه حسين وأحمد أمين والمنفلوطي والزيات من أفراد الرعيل الثاني، أقول الثاني لأنهم سبقوا بطبقة الشيخ محمد عبده وعلي يوسف وتوفيق دياب الرصافي وخلف من بعد هؤلاء الخلف الصالح كأحمد أمين المنفلوطي والرافعي، فكانت الهلال والمقتطف والمنار هذه الثلاثة على الخصوص رسل النهضة الأدبية الشرقية إلى الشمال الإفريقي»[5]

أما محمد ناصر في دراسته حول المقالة الصحفية الجزائر فيقول :»كان الصحفيون الجزائريون يعترفون دائما بفضل

1-عبد الحميد بن باديس، آثار عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص ص:178، 179.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5،دار البصائر،الجزائر،ط2009-6، ص 587.

3-محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج5،جمع وتحقيق أحمد طالب الابراهيمي ،تاريخ الغرب الاسلامي،بيروت ،1995، ص179

4-الإبراهيمي،المرجع نفسه، ص 181.

5- أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، (دط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 75.

الصحافة العربية الشرقية عليهم، سواء في ذلك ما أمدتهم به من غذاء فكري أو ما أفادتهم به من أخبار الوطنين العربي والإسلامي وما طبعت به أساليبهم من بيان رفيع ولغة رائية فالشيخان عمر بن قدور صاحب «الفاروق» وعمر راسم صاحب «ذو الفقار» لم يخفيا إعجابهما بأفكار الشيخ محمد عبده كما نشرتها جريدة المنار...

كما نجد زعيم الحركة الإصلاحية منذ العشرينات الشيخ عبد الحميد بن باديس يعترف بما لصاحب «المنار» من فضل لا على الجزائريين وحدهم بل على المسلمين قاطبة حيث قال:»إن الحركة الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية بيانا ودفاعا كلها من آثار صاحب المنار».[1]

ويضيف محمد ناصر في جزء آخر من كتابه:« وقد اعترف الكتاب الجزائريون أنفسهم بما لهذه الأساليب على كتاباتهم من أثر، فابن باديس يعترف بكل إعتزاز بأنه كان يقلد «المنار» في طريقته في تفسير القرآن الكريم التي كان يفتتح بها مجلته كما ينشر في أحد أعداد الشهاب جزء من تفسير الشيخ رشيد رضا إعترافا منه بفضل صاحب المنار».[2]

أما محمد علي دبوز فيجمل كل هذا التأثير في حديثه عن مجلة المنار والفتح وأثرها البالغ في شباب النهضة فيقول: «وكانت مجلة المنار التي تنشر آراء الشيخ محمد عبده وتدعو بدعوته كان لهذه المجلة العظيمة أكبر الآثار في نفوس أهل الجزائر إنها لا تدانيها مجلة أخرى في عمق التأثير وفي عظم الجدوى وشمولها، وكان المثقفون بالعربية في الجزائر يقرؤونها كلها ويعيدون قراءتها على إخوانهم المرار الكثيرة وكانوا يتسابقون إلى شراء ما يصل منها، وكانت تأتيهم من تونس وأوروبا بطرق خفية لمناهضة الاستعمار لها، ويعملون للحصول عليها كل وسيلة، لأنها غذاؤهم الفكري والقلبي، وإشراق من شمس الدين الذي يقدمونه ويؤثرونه ، يهديهم السبيل في الجهاد ويقوي قلوبهم في النضال، ويردد عليهم في حرارة لا نظير لها ما قاله الرسول والصحابة لزمانهم فتيقظ و طهر وساد.

وكانت الجزائر ترى مجلة المنار لسان الإسلام الأكبر ومنبر الإصلاح الأعظم وتراها متنفسا لها وأكبر عون لها في الإصلاح الذي يقوم به زعماء نهضتها وفي إيقاظ الأمة وتطهير عقائدها من الاباطيل ونفوسها من الفساد، وكان زعماء النهضة كلهم يقرءون فصولا من مجلة المنار في نواديهم ومجالسهم للجماهير ويوجهون تلاميذهم وأنصارهم إلى مجلة المنار لأنها الذي ينير بصائرهم.[3]

2 – صدى المنار في تونس:

كانت زيارة محمد عبده الثانية للقطر التونسي قد تمت كما هو معلوم في شهر سبتمبر 1903 وكانت لها آثار هامة في تأصيل أركان الدعوة السلفية الجديدة في مصر بمساعدة رواج مجلة المنار في النخبة المثقفة في هذا البلد

1– محمد ناصر المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931 ،ج1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص ص: 60، 61.

2–محمد ناصر، المرجع نفسه، ص 62.

3– محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، (دط) (دم ط) الجزائر، 2007، ص ص: 28، 29.

وفي طليعتها مشائخ الزيتونة المتفتحون للإصلاح.[1]

هذا ما يذكره محمد صالح المراكشي في حديثه عن تأثير المنار في البلاد التونسية إلا أن هناك من كان حسب الكاتب نفسه من يستشيط غضبا من الشيخ محمد عبده ومدرسة المنار عموما ويبدو أن ذلك كان هو السمة الغالبة على العالم الإسلامي بأكمله الذي انقسم إلى قسمين :»قسم أول تمثله فئة المحافظين من أهل الجمود وقسم ثاني يمثل التيار التجديدي الإصلاحي، ولم تكن تونس بمنأى عن ذلك.

فقد ازداد الزيتونيون المتفتحون تعلقا بالدعوة السلفية الجديدة في مصر وأصبحوا يتهافتون على قراءة التفسير والفتاوى حتى «أن العدد الواحد من مجلة المنار كان يدار على عشرات الناس».[2]

وقد برز تأثر دعاة الإصلاح في تونس بمجلة المنار وصاحبها تبنى الكثير من أفكارها ففي المجال التربوي والاجتماعي نادوا بإصلاح التعليم الزيتوني على غرار دعوة محمد عبده ورشيد رضا بإصلاح التعليم الأزهري فأنشأوا (الجمعية الخلدونية) لنشر العلوم العصرية وتعليم اللغات الحية وذلك لتمكين التونسيين و الزيتونيين على وجه الخصوص من دراسة العلوم الحديثة، وقد مثل هذا التيار التجديدي الشيخ سالم بوحاجب[3]، والطاهر بن عاشور[4] وعلي بوشوشة[5] والبشير صفر[6] وغيرهم.

وقد أبدى رشيد رضا في كثير من مقالاته في المنار اهتمامه بمسائل التربية والتعليم في تونس كما نشر مقالات لبعض مؤيديه أمثال الطاهر بن عاشور وهذا يدل على وجود رابطة روحية وفكرية كانت تجمع بعضا من نخبة تونس ورشيد رضا ،ولم يقتصر دور رشيد رضا والمنار على متابعة قضايا الإصلاح في تونس بل ظهر تأثير المنار على بعض المجلات الدينية في تونس التي سارت على نهجها في الإصلاح وأوضح مثال على ذلك «المجلة الزيتونية» التي ظهرت سنة 1936 والتي كان في مقالاتها كثير من التشابه بين مواقف أصحابها ومواقف المنار في في قضايا إصلاحية عديدة.

وبعيد وفاة رشيد رضا سارع أرباب المجلة الزيتونية بنشر وقائع الحفل التأبيني الذي عقد له في قصر الجمعيات

1- محمد صالح المراكشي، مرجع سابق، ص 96.

2-المرجع نفسه، ص 98.

3 سالم بوحاجب (1827م-1924) من أبرز العلماء التونسيين درس بجامع الزيتونة ثم تولى مهمة التدريس به، كان من الأعضاء المؤسسين للمدرسةالصادقية التي تأسست بتونس 1875م- راجع: الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون، تعريب وتقديم حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،ط1986-1، ص ص: 170-169.

2-4- الطاهر بن عاشور (1879م-1973م) ولد بتونس ارتقى وهو شاب منصب مدرس ثم أستاذ، وشغل بعد ذلك مناصب مرموقة من جامع الزيتونة والمعهد الصادقي، ثم أصبح قاضيا .....، بذل جهدا كبيرا لإصلاح التعليم الزيتوني وتطويره، راجع: الصادق الزمرلي، المرجع نفسه،ص ص: 367-361.

5 -علي بوشوشة (1859م- 1917م) انحدر من عائلة عريقة من بنزرت، التحق بالمعهد الصادقي عند افتتاحه درس العربية والفرنسية والتركية، سافر إلى انجلترا وبقي بها 3 سنوات يدرس الإنجليزية عاد إلى تونس سنة 1881م وفي 1888م أسس جريدة الحاضرة، كان من أنشط مسيري الجمعية الخلدونية، راجع الصادق الزمرلي، المرجع نقسه، ص ص: 140-133.

6- البشير صفر (1865 - 1917) ولد بمدينة تونس، التحق بالمدرسة الصادقية، أرسلته الحكومة لإتمام دراسته الثانوية بمعهد سان لويس بباريس، وهو أحد مؤسسي الجمعية الخلدونية، راجع، المرجع نفسه، ص ص: 131-121.

الفرنسية بتونس دعي إلى حضوره بعض رفقائه المقربين وخاصة شكيب أرسلان، محي الدين الخطيب، وقد تولى كثير من علماء تونس الإشادة بمناقب الفقيد والتذكير بمختلف أعماله الإصلاحية».[1]

وعلى المستوى الشخصي كان الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من أبرز علماء تونس ميلا لأفكار رشيد رضا كحرصه على التوفيق بين روح الإسلام ومقتضيات العصر الحديث كما كانت مواقفه من الخلافة الإسلامية تكاد تكون متطابقة على اعتبار أن نظام الخلافة هو النظام السياسي الأمثل لجمع كلمة المسلمين.

ولم يكن موقف التونسيين من المنار وصاحبها موقف الإعجاب فقط بل كان أحيانا موقف الناقد البناء، ونحن نلحظ ذلك رغم أنه رغم ميل محمد النخلي ومحمد بشير النيفر إلى الإصلاح فإنهما انتقدا بعض ما نشرته المنار في التفسير فكتب النخلي رأيه المختلف حول ورود التوكيد في القرآن الكريم ودلالاته، كما كتب النيفر رأيه المخالف لتفسير ما يتعلق بآدم، وقد نشر محمد رشيد رضا ذلك في المنار وأشاد خاصة برأي النيفر في الموضوع.[2]

وجدير بالذكر أيضا أن المنار كان له عدد من المراسلين والأقلام التونسية نذكر منهم: البشير صفر والشاذلي درغوث والهادي السبعي أما علي بن الحاج محمد زنين فقد كان وكيل المنار على مستوى المغرب العربي وكان مقره في تونس.[3]

3 – صدى مجلة المنار في المغرب الأقصى(مراكش):

اهتمت المنار بقضايا مراكش منذ صدورها « ففي سنة 1894م تولى مولاي عبد العزيز الملك العلوي في المغرب، وكان صغيرا ميالا إلى اللهو والإسراف حتى انه تعرض إلى سخط العلماء وانتقاداتهم من جراء تهاونه بالسلطة وضعفه أمام بعض أفراد بطانته مما جر عليه خروج أحد الأشراف العلويين... وكان هذا حدثا سياسيا مهما لفت انتباه رشيد رضا فكتب فصلا خاصا بالقضية لام فيه مولاي عبد العزيز علي مبالغته في طلب القروض المالية من فرنسا وحذره من مخاطر هذا السلوك المتهور، وأسدى رشيد رضا نصائحه في فصل ثان لحكومة المغرب حتى تسعى لحماية البلاد من كل غزو أجنبي وتعمل على نشر العلوم العصرية وإصلاحات إدارية وقضائية عامة اقتداء بالدولة العثمانية العلية في المشرق.[4]

وقد تواصل اهتمام المنار بقضايا لاحقة في المغرب على رأسها التنافس الفرنسي الألماني في المنطقة وحرب الريف إلا أن قضية الظهير البربري قد شغلت حيزا كبيرا من اهتمام المنار.

أما عن التاثير في النخبة المغربية فيقول أبو القاسم سعد الله «وليس لدينا الآن سوى إشارات عن تأثير المنار في جيل العلماء والنخبة المغربية فيذكر بعض الدارسين أن أبا شعيب الدكالي الذي درس في مصر وأصبح

1– محمد صالح المراكشي، قراءات في الفكر، مرجع سابق، ص 103.
2 أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي، مرجع سابق، ص 110.
3–سعدالله،بحوث في التاريخ العربي ،مرجع سابق، ص 111.
4– المراكشي، مرجع سابق، ص ص: 117–116.

من كبار علماء وقضاة المغرب قد تأثر بالحركة الإصلاحية في مرحلتها العبدوية وفي عهد المنار ورشيد رضا كما تأثر في الحجاز بأفكار محمد بن عبد الوهاب وكان الشيخ الدكالي من السلفيين البارزين في المغرب وقد تزعم الدكالي الحركة المعارضة للظهير البربري سنة 1930»[1]

كما أنه لا يخفى تأثر «علال الفاسي»[2] بالفكر الإصلاحي فقد أبرز في كثير من مواقفه الإصلاحية لا سيما في مواجهة الاستعمار.

4 – صدى مجلة المنار في طرابلس:

شدت العديد من الأحداث في هذه الولاية إهتمام المنار وعلى رأسها العدوان الإيطالي الفاشي عليها ومجريات الحرب الطرابلسية ضد الاحتلال الإيطالي، كما نشرت عدة بيانات إسلامية لمساندة المقاومة الليبية ونشاط الطريقة السنوسية آنذاك، كما فضحت المنار في بعض البيانات التي نشرتها سياسة الإبادة التي اتبعتها إيطاليا في طرابلس الغرب و هو نداء لجمعية الشبان المسلمين في مصر إلى عصبة الأمم ومن ضمن الموقعين عليه رشيد رضا.

وأما فيما يخص ردود الفعل الليبية نحو مجلة المنار وصاحبها فيؤكد أبو القاسم سعد الله قائلا :»فلم نهتد إلى دراسة تناولتها ونحن لا نشك في أن عددا من الليبيين قد تأثروا بالحركة الإصلاحية التي كانت تتولى نشرها المنار، سواء كانوا في ليبيا نفسها أو كانو في المهجر لا سيما مصر وتونس اللتان قصدهما المهاجرون الليبيون فرار من الاستعمار الإيطالي».[3]

وبذلك فإننا نلاحظ اختلافا في حدة تأثير اهتمام المنار لتكون تونس الأوفر حظا من هذا الاهتمام وتليها الجزائر ثم المغرب لتكون ليبيا الأقل حضا وهذا ما يؤكده أبو القاسم سعد الله إذ يقول: «فإذا تغاضينا عن ليبيا فإننا نلاحظ أن تأثير المنار وصاحبها على الرأي العام المتعلم في المغرب العربي كان على درجات متفاوتة، وربما جاز لنا أن نذكر درجات التأثر على النحو التالي: أخذت تونس الحظ الأوفر من التأثير نظرا لنشاط نخبتها ومكانة شيوخ الزيتونة و زيارتي الشيخ عبده لها، وكذلك وجود بعض التونسيين أصلا في الشرق أمثال الثعالبي وعبد العزيز جاويش ومحمد الخضر حسين، ثم تأتي الجزائر التي زارها الشيخ عبده وأهتمت المنار بوضعها الديني واللغوي، وعارضت السياسة الفرنسية في معاملة الجزائريين، وقد تبين لنا وجود تلاميذ للمنار في الجزائر منذ عهد مبكر ثم تقمصت جمعية العلماء مبادئ المنار دون مواربة، ورجع الشيخ الإبراهيمي والعقبي والتبسي من المشرق مشبعين بالفكر الإصلاحي فواصلوا الدعوة إليه، أما المغرب فيأتي في نظرنا في الدرجة الثالثة من التأثير نظرا لمحافظة علماء القرويين فيه وكثرة الطرق الصوفية المعارضة للإصلاح وتأخر ظهور النخبة الباحثة عن معادلة تندمج

1– سعد الله، بحوث في التاريخ العربي، مرجع سابق، ص 123.

2– علال الفاسي (1906م –1974م) سياسي مغربي، زعيم حزب الاستقلال ناضل ضد الاستعمار الفرنسي على رأس حزب العمل المغربي الذي تأسس سنة 1934، اعتقله الفرنسيون سنة 1938م، ونفي على مستعمرة الغابون حيث بقي 9 سنوات وعاد ليخضع للإقامة الجبرية، لجأ إلى القاهرة سنة 1947 ليواصل نضاله من خلال «مكتب المغرب العربي عاد إلى المغرب بعد استقلاله، راجع عبد الوهاب الكيالي وأخرون، موسوعة السياسة، ج4، مرجع سابق، ص 158.

3 –أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي، مرجع سابق، ص 124.

فيها الأفكار الغربية والإصلاح الديني والاجتماعي طبقا لمذهب المنار»[1]

مدخل لاستعادة دورهم الحقيقي ومساهمتهم في رقي الإنسانية وسعادتها.

مصادر ومراجع المقال

محمد رشيد رضا، «فاتحة السنة الأولى للمنار»، المنار، م1، ج1،(15 مارس 1898م).-

– محمد رشيد رضا، «مقدمة الطبعة الثانية للمجلد الأول من المنار» المنار، م1، ج1،(15 مارس 1898م) .

–أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية 1 (المنار)، دار عطوة للطباعة، القاهرة، 1983.

– محمد صالح المراكشي، قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصر،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1992.

–إبراهيم أحمد العدوى، رشيد رضا الإمام المجاهد ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنشاء والنشر ،(دت ن).

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5،دار البصائر،الجزائر،ط2009-6، ص 587.-

- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج5،جمع وتحقيق أحمد طالب الابراهيمي ،دار الغرب الاسلامي،بيروت ،. 1995

- أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، (دط) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

– أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.

– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية،(طبعة خاصة) ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007.

– عبد الحميد بن باديس، آثار عبد الحميد بن باديس،ج3 ،الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر.

– شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954،المجلد2، (ترجمة المعهد العربي العالي للترجمة) شركة دار الأمة، الجزائر،ط1- 2008.

– محمد ناصر المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931 ،ج1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

– محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، (دط) (دم ط) الجزائر، 2007.

– Nadia elissa-mondeguer' « al-manâr de 1925 a 1935 : la dernière décenie d'un engagement intellectuel » revue des mondes musulmans et de la méditerranée (en ligne N° 95-98 avril 2002.

Ali merad'» le reformisme musulman en algérie de 1925 à 1940» 2eme ed' les éditions Dar el hikma' alger.

Amar hellal'» le mouvement réformiste algérien (1831-1957) «'OPU' 2002.

1- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي، مرجع سابق، ص 124